التمهيد إلى خدمة يسوع

(مرقس١:١-١٥)

تأليف: جو شوبيرت

كتب يوحنا الرسول: «...من قال إنه ثابت فيه ينبغي أنه كما سلك ذاك هكذا يسلك هو ايضاً.» إن كنا ندري اننا فيه، وإن نسلك كما سلك هو، فعلينا ان نفهم بجلاء كيف سلك يسوع. سنستخدم انجيل مرقس كمرشد لنا لنرى كيف سلك يسوع. سيكون قصدنا من هذه الدراسة الاطلاع على حياته ونسعى لكي نصوغ حياتنا على ضوء حياته. قد يكون هذا افضل درس لنتعلمه.

أن إنجيل مرقس هو حقاً واحدا من أهم واعظم الكتب في كل الزمان. فلغته واضحة. وصيغة كتابته لحياة ربنا جيدة التعبير وسهلة الفهم. ويمكن تطبيقه على العقل الغير اللاهوتي مباشرة. انه قصة السيرة المكتوبة بطريقة مبسطة.

يعجبنا إنجيل مرقس لأن تصويره للسيرة الذاتية ليسوع سهل التعريف.انه صور ربنا كواحد من البشر والله في صورة انسان، الذي بأعجوبة نزل إلى الأرض. الذي تعامل كانسان في تصرفاته واعماله. قصة فوق كل القصص، هو سجل من النشاط. إنجيل يوحنا هو إنجيل عمل. تكاد ان تقف انفاسنا حينما ننتقل من حدث إلى آخر متابعين حركات يسوع واصحابه.

يجمل مرقس البشير في الجملة الأولى كل ما يريد أن يقول، فهو يقول: «بدء إنجيل يسوع المسيح ابن الله.» اوشك يوحنا مرقس البشير ان يبدأ قصة يسوع المسيح. وانه استهل بالكلمة «بدء» ربما تعمد مرقس أن تبدأ الإفتتاحية بكملة مشابهة لما ورد في سفر التكوين ١:١ «في البدء خلق الله...» كان مرقس يقول بهذا ان بداية جديدة في تاريخ العالم على وشك الحدوث. فان الله مازال يعمل من خلال ابنه.

يخبرنا مرقس في الفقرة التي تلت عن التحضيرات لمجيء ابن الله من قبل يوحنا المعمدان الذي يأتي امام المسيا. وعندما نصل إلى الآية ٩ نقرأ هذه الكلمات: «وفي تلك الأيام جاء يسوع...» هاتان الكلمتان «جاء يسوع» هما وصف لتغيير جذري.

في الآيات التي تلي، يقال لنا ماذا جرى لإبن الله عندما بدأ حياته العملية على الأرض. انه جاء واعتمد؛ وجرب - كانت هذه متطلبات ضرورية لتجهيز حياته العملية.

١. معمودية يسوع (١:٩-١١)

يبدأ سجل عماد يسوع في الآية ٩:

> وفي تلك الأيام جاء يسوع من ناصرة الجليل واعتمد من يوحنا في نهر الأردن. وللوقت وهو صاعد من الماء رأى السموات قد انشقت والروح مثل حمامة نازلاً عليه. وكان صوت من السموات: «انت ابني الحبيب الذي به سررت» (الآيات ٩-١١).

تذكر جميع الأناجيل الأربعة قصة معمودية يسوع. إذاً، لا بد ان ذلك الحدث كان في غاية الأهمية من حياته. ومع ذلك فهناك شيء غريب عن معموديته. لنرجع إلى سر أحداث ذلك.

كانت هناك يقظة روحية كبرى في اسرائيل في ذلك الزمان. وكان آلاف الناس

يخرجون من المدن إلى الصحراء، إلى البرية ليستمعوا إلى بشارة إنسان غير عادي، إلى بشارة يوحنا المعمدان. كان الناس يتركون بيوتهم وأعمالهم وعائلاتهم ليستمعوا إلى يوحنا المعمدان، الذي كان يتكلم بالحقائق التي لمست اعماق نفوسهم واشارت إلى حاجاتهم الماسة. كانوا يخرجون من المدن لأنهم شعروا بفداحة ذنوبهم. وأدركوا عدم ملائمتهم. وأحسوا بغربتهم عن الله. لقد قدم يوحنا لهم المخرج، وأستجابوا بأعداد كبيرة.

عمد يوحنا كل الذين تابوا، وأقروا بذنوبهم، طلبوا المغفرة لخطياهم. كان هذا ما تشدد عليه رسالة يوحنا المعمدان. ومع ذلك، عندما جاء يسوع ليوحنا ليعتمد منه، منعه يوحنا. يخبرنا متى البشير بان يوحنا المعمدان قال ليسوع: « أنا محتاج ان أعتمد منك وأنت تأتي إليّ؟ » (متى٣:١٤). لم يكن هناك شيء في حياة يسوع المسيح يتطلب التوبة والأعتراف بالذنب. فلماذا يطلب يسوع أن يعتمد من يوحنا؟ أجاب يسوع يوحنا بطريقة رائعة جداً، إذ قال « اسمح الآن؛ لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل بر » (متى٣:١٥). ماذا عنى يسوع بهذه العبارة؟ ولماذا اعتمد هو؟

هوية

كانت معمودية يسوع تهدف إيجاد هوية له، وبمعموديته اختار عن قصد وطوعاً ان يكون متحداً بنا وبحالتنا {المأساوية}. يقول الكتاب المقدس بان يسوع اخذ مكاننا، وهذا بدأ من معموديته، وليس عند الصليب. عند معموديته، بدأ يُوصف بنا نحن الخطاة. كانت تلك المعمودية بمثابة الخطوة الأولى لتلك العلاقة التي بها صارهو خطية لنا. انه اعتمد بمعمودية التوبة لمغفرة الخطية، رغم انه غير مذنب بشيء.

هبة

كانت معموديته ايضاً لحظة تقوية. يقول مرقس البشير: «وللوقت وهو صاعد من الماء، رأى السموات قد انشقت والروح مثل حمامة نازلاً عليه » (آية١٠). كان يسوع قد مسح بالروح عند هذه النقطة. في ايام العهد القديم كانت العادة ان يمسح الملك او الكاهن في الوقت الذي يتم فيه تنصيبه. كان يمسح رأسه بالزيت كما يتعهد بنفسه ليقوم بالأعمال الوظيفة التي دعي إليها. هذه صورة لما يحدث الأن في حياة يسوع المسيح. يمسحه الله بواسطة الروح القدس، وبعد اسابيع قليلة في المجمع بالناصرة، يخبرنا لوقا البشير بان يسوع وقف وقرأ من سفر اشعياء النبي، والآيات التي قرأها تتحدث عن هذا المفهوم بانه سيُمسح بالروح. في إنجيل لوقا ٤:١٦-١٩ يقول السجل:

> « وجاءإلى الناصرة حيث كان قد تربى. ودخل المجمع حسب عادته يوم السبت وقام ليقرأ فدفع إليه سفر أشعياءالنبي. ولما فتح السفر وجد الموضع الذي كان مكتوبا فيه روح الرب عليّ لأنه مسحني لأبشر المساكين، أرسلني لأشفي منكسري القلوب، لأنادي للمأسورين بالإطلاق وللعمي بالبصر وأرسل المنسحقين في الحرية. وأكرز بسنة الرب المقبولة. »

بدأت أعماله التبشيرية إذاً بهذه المسحة من الروح القدس.

توكيد

كانت معموديته توكيدا لرحمة الله. يقول مرقس البشير: « وكان صوت من السموات 'أنت ابني الحبيب الذي به سررت » (مرقس ١:١١). وردت هذه بطريقة مختلفة في إنجيل متى. إذ يقول متى٣:١٧ « وصوت من السموات قائلاً 'هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت. » يقدم مرقس البشير الصوت بانه كان موجه ليسوع، ووضع التوكيد على يسوع: « أنت ابني الحبيب الذي به سررت. » اما متى ولوقا البشيرين فابرزا الصوت وكانه يكلم الذين يشهدون المعمودية. وكلاهما صحيحان. قدم مرقس البشير المناسبة والحدث من وجه نظر يسوع، بينما سجل متى ولوقا البشيرين هذا الحدث من وجه نظر يوحنا المعمدان. لم يذكر حديث يوحنا مع يسوع في انجيل مرقس. لقد قصد أن يتجاهل

يوحنا المعمدان. بينما ركز متى على المحادثة بين يوحنا ويسوع. الشيء المهم هو ان كلمات الله كانت بمثابة علامة التوكيد من السماء ليسوع بان حياته ورسالته مصدق عليهما من قبل ابيه.

٢. المعركة مع شيطان (١٢:١ و ١٣)

لم تلبث ساعة معموديته المجيدة طويلاً، حتى أتت معركة التجارب. تخبرنا الآيتين ١٢ و ١٣ عن ذلك: «وللوقت أخرجه الروح إلى البرية. وكان هناك في البرية أربعين يوماً يجرب من الشيطان. وكان مع الوحوش وصارت الملائكة تخدمه.»

هنا تبرز حقيقة واحدة بجلاء لا ينبغي اهمالها. يقول مرقس البشير بان الروح «اخرج» يسوع إلى البرية. الروح الذي قواه عند معموديته، هو الروح نفسه الذي أخرج يسوع إلى البرية ليجرب من الشيطان. الروح الذي حل على يسوع عند معموديته هو نفسه الذي يخرج يسوع إلى البرية ليقابل تجربته. هذا يوضح لنا بانه من المستحيل للمسيحيين ان يتجنبوا التجربة في هذه الحياة. التجربة هي جزء من خطة كبيرة وبرنامج وضعه الله في حياتنا. هذه التجارب لا تعطى لكي نسقط؛ وإنما أُعطيت لكي تقوينا، لتقوي عضلات واعصاب عقولنا ونفوسنا. لا ترسل لتضرنا، بل من اجل منفعتنا. علينا ان نجرب حتى ننبثق كمحاربين وكخدام الله.

لايقوم الله بالتجربة. ولكن في برنامجه لتقوية الرجل والمرأة إلى صورة يسوع، تكون أوقات التجارب هذه مهمة جداً. لهذا يسمح للشيطان ان يجربنا. كان جزء من اعداد يسوع هو ان يواجه التجارب. لم يحاول يسوع ان يشرع في خدمته دون ان يجرب شخصياً. إذاً انه ارسل من قبل الروح القدس إلى مكان قفر، حيث احتمل تجارب عسيرة على يدي الشيطان.

تذكر بان يسوع كان وحيداً في البرية. لم يكن هناك أي بشر معه في هذه التجارب. وهذا قد يدل على شيء آخر. السبب الوحيد الذي به يمكننا ان نفتح الأصحاح الأول من إنجيل مرقس ونتحدث عما احتمله يسوع في البرية، هو لأنه أخبر تلاميذه عنها. هذه هي الطريقة الوحيدة التي بها ندرك بانه واجه هذه التجارب. لقد كان يكتب ويعبر عن سيرته الروحية. كان يشهد من اعماق نفسه وقلبه. وكان يقول بهذا: «ههنا ما حدث لي. هذه هي التجارب التي واجهتها. وهذا ما قاله لي الشيطان. وهكذا كانت استجابتي.»

نتعامل إذاً بهذه القصة بوقار وباستثنائية خاصة، لأن يسوع يحدثنا بشيء لا يعلمه احد إلا هو والله. كان يقول لنا بهذا انه يستطيع ان يساعدنا إن جُربنا لأنه يعلم كيف تكون التجارب التي نواجهها.

جرب إبليس يسوع بجميع الطرق الممكنة–في الجسد والنفس والروح. قدم رشوة وأهان ودقق وأمحص وضغط على يسوع. هاجم إبليس يسوع بقنابل من كل فكر وتجربة، تلك التي نجرب بها نحن البشر.

جوع بدني

كثف الشيطان ضرباته على يسوع بثلاثة طرق رئيسية: جاع يسوع بسبب عدم الأكل لمدة اربعين يوماً في البرية مما ساعد على الهجوم الأول الذي قام به الشيطان عندما قال: «يا يسوع، إن كنت إبن الله، فآمر هذه الحجارة المبددة على ارض البرية ان تصير خبز.» كانت هذه تجربة لكي يجعل يسوع يستخدم قوته بأنانية. توجد هناك تجربة تواجه كل منا اليوم لكي تجعلنا نستخدم كل ما منحنا الله من قوة وامكانية بأنانية ولمصلحة ذاتية وبتكبر، عوضاً عن خدمة الله والآخرين.

وحدة الروح

كان هناك ايضاً وحدة الروح. لقد أنعزل لمدة أربعين يوم في البرية دون صحبة بشرية. أشتاق يسوع للرفقة واشتهى ان يكتسب شوقهم له واعجابهم به. وانتهز إبليس كل هذه الفرصة لوحدة العقل واخذ يسوع على الأقل في تصوره، إن لم يكن حرفياً إلى جناح الهيكل وامره ان يلقي بنفسه إلى أسفل. إذ قال: «سيتبعك

الناس إذا ذهبت خلال عمل بطولي عجيب وسيروا بان الله يدعمك بطريقة فوق الطبيعة.» هنا كانت التجربة لكسب موافقة بشرية بطرق اخرى غير التي يرغب فيها الله. كم مرة نواجه نحن هذه التجربة؟ انها تجربة قوية دائمة.

طريقة مقتصرة للسيطرة

أعتقد إبليس بانه في حالة الضعف عند يسوع كان بامكانه أن يكسب ما يريد بما فيه الموت وهي طريقة مختصرة. «يمكن ان تحصل عليه بالكامل دون عملية الصليب،» هكذا قال إبليس. اخذ يسوع إلى جبل عال وأراه مماليك الدنيا، وقال «يا يسوع ستكون لك كل هذه المماليك إذا ما سجدت لي.» نواجه نحن مثل هذه التجربة يومياً ونتفاوض مع إبليس ليأخذ من حياتنا ما يحتاج إليه حقاً. ماذا تريد حقاً من حياتك – صحة جيدة او ثروة او نفوذ او قوة او اسرة حسنة او نجاح لأولادك او زواج سعيد؟ وتعقد صفقة مع إبليس يومياً لكي تحصل على ما تريده. كان يسوع يريد تلك المماليك كلها؛ أرادها بكل قلبه. ولكنه لا يتفاوض مع إبليس لكي يحصل عليها.

لقد قابل ربنا كل تجربة بالطريقة نفسها التي بها يمكن أن نقابلها، أي بالأعتماد والثقة في ما كتبه الله في كلمته. «مكتوب»، هكذا قال يسوع. جرب ثلاثة مرات. هجم عليه ثلاثة مرات بالمطرقة الكبيرة – عند الهجوم الجسدي، وعند الهجوم العقلي وعند الهجوم الروحي. ولكن في كل من المرات الثلاثة اجاب يسوع: «مكتوب»، واقتبس كلمة الله. انه أنتصر بواسطة الكلمة.

لم يكف الله عن تجربة شعبه. تجربتنا مصممة كما كانت تجربة يسوع اي لتجعلنا أمتن ولتقوينا وليعدنا لدعوة اسمى تلقيناها بيسوع المسيح ربنا.

عندما يريد الله ان يدرب إنسان،
ويسري عن انسان و يجعل الإنسان ماهرا،
عندما يريد الله إن يصوغ انسان،
ليلعب دوراً نبيلاً،
عندما ينوي بكل قلبه
ليخلق انسانا بهذه العظمة والجسارة
بحيث يذهل العالم كله،
فانتبه إلى الوسيلة التي يستخدمها،
انتبه إلى طرقـــه.
كيف يتمم الكمالية بشفقة
في الذي يختاره على نحو ملكي
كيف يضربه ويؤلمه
وبلطمات عظيمة يحوله
إلى اشكال طينية تجريبية
كيف يستخدم ما اختاره
ومع كل غاية، يدمجه
وبكل عمل يحثه
على ان يختبر عظمته
فالله عالم ما يفعله.

نعم انه يعلم، كان يعلم ما يفعله بيسوع، وهو يعلم ما يفعله بنا.

تنتهي قصة مرقس المختصرة عن التجارب بلمستين منعشتين. يقول مرقس البشير بان يسوع كان مع الوحوش. يعتبر هذا عادة كتفصيل آخر ليزيد من فظاعة المشهد، عندما نرى وحوش البرية ترعب يسوع إلى حد ما. ولكن ربما لا يكون هذا هو الأمر. حيث يمكن أن يدل ذلك ضمناً على انه حتى الوحوش كانت تصاحب الرب. وثانياً، يضيف مرقس البشير: «...صارت الملائكة تخدمه.» يوجد هناك مساعدة دائماً من العُلى في ساعة المحنة. لم يُترك يسوع وحيداً ليواجه معركته، وهكذا نحن أيضاً لا نُترك عند المواجهة. والآن حل الروح القدس على يسوع، وتقوى بالتجارب في البرية. انه مستعد الآن لبدء خدمته.

٣. بدء خدمته التبشيرية (١:١٤ و ١٥)

يخبرنا إنجيل مرقس ١:١٤ و ١٥ بما يلي: «وبعد ما اسلم يوحنا جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله. ويقول» قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله. فتوبوا وآمنوا بالإنجيل في هاتين الآيتين يتخطى مرقس البشير عاماً كاملاً من خدمة يسوع. علينا بالعودة إلى إنجيل يوحنا لندرس التفاصيل. يحدثنا يوحنا البشير عن حديث يسوع مع نيقوديموس وحديثه مع المرأة السامرية عند البئر، وعن معجزة يسوع الأولى في عرس قانا الجليل، حيث حول الماء إلى خمر. لم يذكر

مرقس كل من هذه. فملأ يوحنا المكان الخالي.

يبدأ مرقس البشير سجله عن عمل يسوع التبشيري بجولته الفعالة في الجليل. يكلمنا عن جوهر عمل يسوع التبشيري. كان عاجلاً: «اقترب ملكوت الله. فتوبوا وآمنوا بالإنجيل.» الإنجيل {اي الخبر السار} الذي كان يبشر به يسوع هو ان قوة الله القدير قد اصبحت الآن في متناول البشر، وبان هناك اختراق عظيم في تاريخ البشر، قد اخترق قوة الله وحل على الأرض، وبان قوة الله الآن متاحة وللمرة الأولى في كل تاريخ البشرية لكل الذين يأتون إليه. جاء يسوع ليعلن بان مجيء المملكة قد اقترب؛ الذي يمكن ان يتسيد على الحياة والذي يمكن ان ينظم الحياة والذي يمكن ان يأتي بالسلام والانسجام اللذان يوفران القوة التي تخلق شخصية لا تضاهيها أخرى، انه قد أتى؛ ألا وهو ملكوت الله. «لأن ليس ملكوت أكلاً وشرباً؛ بل هو بر وسلام وفرح في الروح القدس.» هكذا قال بولس الرسول في رسالته إلى أهل رومية ١٤:١٧. ذلك ما كان يعنيه يسوع عندما قال «...قد اقترب ملكوت الله.» بر وسلام وفرح وقوة الله نفسه قد اقتربت. ندخل الملكوت أو الكنيسة بالأيمان والتوبة والمعمودية. وكل من يريده يجد عون الله.

الخلاصة

الرسالة التي بدأ بها ربنا خدمته قبل حوالي ألفي سنة، هي الرسالة نفسها التي يكلمنا بها اليوم. يقدم لنا حياة البر والسلام والفرح. إن كنت ترغب في عطيته بقبولك لشروطه، فاقبل إليه بإيمان وتوبة ومعمودية. ادخل إلى حياة جديدة لا يمكن لغيره أن يعطيها. وأبدأ سيرك كمواطن في ملكوت الله.

توضيحات

قوة وجه الآب

سألت تلميذة في مدرسة الأحد معلمها، لماذا أتى الرب يسوع مرتين إلى تلاميذه في البستان وقال لهم «اسهرو وصلوا» ولكن عندما أتى للمرة الثالث قال «ناموا الآن واستريحوا...» أحتارت المعلمة تماماً ولم تعرف الإجابة؛ فقالت لها الطفلة، «أعتقد انني أعرف لماذا. لأن يسوع قد رأى وجه أبيه ولا يحتاج إلى مساعدتهم فيما بعد!»

أبقى نظرك على يسوع

لكل نظرة في الداخل، القي عشرة نظرات طويلة إلى المسيح.

الحاجة أن تكون صريح

أثبت هنري وارد بيجر الحقيقة عندما قال، كلما عشت طويلاً، كلما زادت ثقتي في تلك العظات التي بشرت بها حيث يمثل إنسان واحد جماعة المصلين؛ حيث يمثل خادم الكلمة إنسان واحد؛ وحيث لا يوجد سؤال عن من كان المعني عندما قال المبشر، «أنت هو الرجل.»

خزان ماء عذب

ليست للكنيسة أن تكون بحر راكد فيه تصب حقيقة الله من شفاه الرسل والأنبياء والمبشرين ورعاة الكنيسة ومعلمي الدين. بل يجب أن تكون خزان ماء عذب يستقبل ويصرف للآخرين.

الكتاب المقدس – درع الإيمان

تسربت تقارير خلال الحرب العالمية الثانية أن الكتاب المقدس الذي كان في جيب قميص قد أوقف الرصاصة التي كادت تخترق جسده. قام بعض الناشرين على أثر ذلك بوضع أغطية فولازية للعهد الجديد لكي يستخدمها الجنود. لم يقصد بالكتاب المقدس ان يكون مثل ذلك الدرع. علق أحد من الساخرين ببراعة بان ورق لعب قد يفعل الشيء نفسه.

اما خطية أو نعمة

قال غ. كامبل مورغان ببراعة، «يمكن للإنسان ان يهرب أخيراً من الخطية أو من النعمة، ولكن ليس من كلاهما. يمكنه ان يهرب من الخطية بالخضوع إلى النعمة، أو يضع نفسه خارج عمل النعمة بالخضوع إلى الخطية.»

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧